انتفاضة سويتو عام ١٩٧٦ واثرها على الحركة الطلابية في جنوب إفريقيا
The 1976's Soweto Uprising and its impact on the student movement in South Africa

اعداد

أ.د وفاء كاظم ماضي الكندي — الباحث : أحمد صالح حذية المعموري

P. Dr. Waffa' Kaghim Madhi Al- kindi — R. Ahmed Salih Hithye El ma'moori

جامعة بابل- كلية التربية للعلوم الانسانية

Babylon University - Education & Human Sciences College

البريد الكتروني : aa8696823@gmail.com

المستخلص

تعد انتفاضة سويتو عام ١٩٧٦,إحدى أهم النشاطات النضالية التي قام بها الطلاب السود في جنوب إفريقيا ضد السياسات والاجراءات العنصرية لحكومة جنوب إفريقيا البيضاء في مجال التعليم الخاص بالسود .

وقد توفرت أسباب عدة لهؤلاء الطلاب اليافعين والطموحين في اعلان انتفاضتهم التي تحولت إلى أعمال شغب وعنف ومواجهات بين المنتفضين وبين قوات الشرطة الحكومية . أسفرت عن مئات الضحايا وآلاف الجرحى واعتقال آلاف أخرى من المنتفضين وخسائر كبيرة في الممتلكات العامة والخاصة.

وعلى الرغم من قلة الوعي السياسي وضعف التنظيم نجحت الانتفاضة في إلغاء فرض اللغة الأفريكانية لغة للتدريس في المدارس الجنوب الأفريقية وفي تنمية الوعي لدى السود والتضامن والوحدة السوداء ليتواصل نضال الحركة الطلابية حتى تكلل نضالهم بالغاء نظام التعليم المنفصل (البانتو) وسياسات الفصل العنصري نهائيا عام ١٩٩٤.

وانسجاماً مع منهج البحث التاريخي فقد قسمت الدراسة على مقدمة وأربع محاور وخاتمة . تناول المحور الاول: أسباب اندلاع انتفاضة سويتو , واختص المحور الثاني : اندلاع انتفاضة سويتو, أما المحور الثالث : فهو لدراسة نتائج انتفاضة سويتو, فيما جاء المحور الرابع: بتأثير انتفاضة سويتو على نضال الحركة الطلابية .

الكلمات الافتتاحية : انتفاضة سويتو – النظام العنصري – الحركة الطلابية .

Abstract

The Soweto Uprising of 1976 was one of the most important militant activities carried out by black students in South Africa against the racist policies and measures of the white South African government in the field of black education. There were many reasons for these young and ambitious students to declare their uprising, which turned into riots, violence and confrontations between the uprisers and the government police forces. It resulted in hundreds of victims, thousands of wounded, the arrest of thousands more protesters, and great losses of public and private property.

Despite the lack of political awareness and weak organization, the uprising succeeded in abolishing the imposition of the Afrikaans language as a language for instruction in South African schools, and in developing black awareness, solidarity and black unity, so that the student movement's struggle continued until their struggle culminated in the abolition of the separate education system (Bantu) and the policies of apartheid permanently in 1994.

In line with the methodology of historical research, I divided my research into the introduction, four paragraphs, and a conclusion. The first paragraph included: the causes of the outbreak of the Soweto uprising, the second paragraph dealt with: the outbreak of the Soweto uprising, and the third paragraph: it is to study the results of the Soweto uprising, while the fourth paragraph came: the effect of the Soweto uprising on the student movement's struggle.
Key words: Soweto Uprising - Apartheid - Student Movement.

المقدمة

شكل نظام التعليم الخاص بالسود (البانتو) في جنوب إفريقيا, أحد أهم أشكال نظم الفصل العنصري لحكومات جنوب إفريقيا. إذ هدف هذا النظام إلى تخريج أيدي عاملة بمهارات محدودة للعمل في قطاع الأعمال الخاص بالبيض, فضلاً عن ذلك, لم تسع الحكومة إلى بناء المزيد من المدارس لمقابلة الزيادة في عدد الطلاب. كذلك إقرار الحكومة اللغة الأفريكانية لغة للتدريس في مدارس جنوب إفريقيا – وهي لغة مضطهديهم ومضطهدي آبائهم – مثل عائقاً كبيراً في التحصيل العلمي للطلبة السود.

وذلك فإن هذه الفئة الشبابية التي تتسم بالحيوية والطموح والأهداف الكبيرة, تم تحجيمها وخنقها بهذه الاجراءات, لتعلن انتفاضتها التي شملت طول البلاد وعرضها, ومثلت حلقة مهمة من حلقات نضال السود ضد سياسات نظام التمييز العنصري.

ونظراً لأهمية نلك الانتفاضة في تاريخ نضال السود للتخلص من سياسة التمييز العنصري ولقلة تناولها بالدرس والتحليل – على عظم اهميتها – فقد اختارها الباحث ليسلط الضوء على أحداثها واسبابها ونتائجها وتأثيراتها.

ومن الجدير بالذكر, أن قلة المصادر المتخصصة بهذا الموضوع , بل بالموضوعات الخاصة بجنوب إفريقيا, لجأ الباحث إلى الاستعانة بالمصادر الأجنبية, المتمثلة بالوثائق والكتب والرسائل والأطاريح ومواقع شبكة المعلومات (الانترنت).

والدراسة جاءت على اربع محاور وخاتمة, فكان على النحو الاتي :

١- أسباب اندلاع انتفاضة سويتو.
٢- اندلاع الانتفاضة سويتو.
٣- نتائج الانتفاضة.
٤- تأثير الانتفاضة في نضال الحركة الطلابية .

اولاً: أسباب اندلاع انتفاضة سويتو:

شهد منتصف السبعينيات تغيرا في الوضع الداخلي في جنوب افريقيا, فضلاً عن المشهد السياسي الاقليمي, وكانت أشكال الفصل العنصري , قد كسرت العمود الفقري التنظيمي للتحرير الاسود, وجرفت جنوب أفريقيا للتمرد الجماعي الذي غدا أكثر انتشارا وزادت قدرته التنظيمية وعزز بالأسلحة أكثر من أي وقت مضى في تاريخه وأبرز هذه التطورات :

١- تغير الأجيال : إن الهدوء الذي تميزت به المعارضة السوداء بعد مذبحة شاريفيل عام ١٩٦٠, والتظاهرات الاحتجاجية غير العنيفة والنداءات الاخلاقية من جهة, واستيعاب العبء القمعي الكامل لدولة الفصل العنصري من القتل والاعتقالات الجماعية والتعذيب ومحاكمات الخيانة والسجن المؤبد, والمنظمات المحظورة من جهة أخرى, كان له التأثير الواضح على جيل كامل من السود الجنوب أفريقيين المذهلين جيل نشأ في عالم شهد غارات حربية على المرور وعمليات إزالة السود إلى مناطق فقيرة يصعب العيش فيها, مما أدى بحلول منتصف السبعينيات إلى وصول جيل سياسي جديد تماماً إلى الساحة السياسية الافريقية كانوا مجموعة من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين (١٥ – ٢٠) عاماً وهم الذين قادوا انتفاضة سويتو .

٢- تطور الوعي الاسود نتيجة فصل التعليم رسمياً من قبل الحكومة عام ١٩٥٩, والذي أدى إلى إنشاء الجامعات مع الهيئات الطلابية السوداء تماماً في البانتوستانات, وهذا الوعي شكل جديد من الايديولوجية التنظيمية للمعارضة السوداء وفق عقيدة ثقافية ونفسية , وبذلك تم توجيه الوعي الأسود نحو الضمير داخل المجتمع الأسود لتطوير شعور بالفخر الثقافي

والاعتماد على الذات والتضامن , بدلاً من وضع استراتيجية سياسية لمهاجمة الدولة التي يحكمها البيض, فضلاً عن العمل كمجموعة لتخليص نفسها من القيود التي تجعل العبودية ملازمة لهم إلى الأبد .

٣- كانت الأسباب النفسية والسوسيولوجية, نقطة انطلاق المراهقين الذين هم مركز الحياة وأفسحت المجال لمعتقدات جذرية في السلوك الراديكالي للسود والمتأصل في سن المراهقة, لأنهم مدفوعين نفسياً دون قيود وأحرار في متابعة أفكارهم الثقافية لتحقيق أهداف سياسية.

٤- تم تعزيز الضمير الجمعي من خلال مؤسسة التعليم الرسمي, لأن المدرسة توفر سياقاً لظهور هوية المجموعة وتنظيمها من خلال جمع عدد كبير من الأشخاص المتشابهين في التفكير, وكان ذلك بمثابة قاعدة اساسية لسياسة الحكومة التعلمية في تحديد مواقع المدارس الثانوية الموحدة للأفارقة خارج المناطق الحضرية , فضلاً عن سياسة التنمية المنفصلة وتعليم البانتو, كل ذلك عمل بشكل غير مباشر على تقويض قدرة الشباب على العمل كمجموعة واعية ذاتياً في انتفاضة سويتو . [١]

كان هذا التغيير واضحاً بشكل خاص في سويتو , عندما كانت جنوب أفريقيا تمر بأزمة حقيقية بالنسبة للتعليم تمثلت في النقص الكبير في عدد المدارس والفصول المخصصة للأفريقيين, إذ ازدادت فيها أعداد الطلاب الأفريقيين الذي التحقوا بالمدارس الثانوية, فضلاً عن بعض التغيرات في المناهج وفي السلم التعليمي نتيجة للنزاع الذي حدث داخل الحزب الوطني لمطالبة رجال الأعمال بضرورة احداث بعض التغييرات في السياسات العنصرية والسماح بتأهيل السود لسد العجز الكبير في نسبة العمالة المدربة, فاقتنعت الحكومة بذلك ورضخت لمطالب هؤلاء وأدخلت بعض المعالجات في السلم التعليمي[٢], مما أدى إلى مضاعفة اعداد الطلاب الذين تم استيعابهم, دون أن تعد الحكومة العدة لذلك بمعالجة متطلبات المدارس بالصورة الملائمة, فضلاً عن عدم معالجة المشاكل المتمثلة في بناء المزيد من المدارس الجديدة, لمقابلة الزيادة في عدد الطلاب الذين ازدادت رغبتهم في الحصول على شهادات عالية تخرجهم من الوضع السيئ الذي كانوا يعيشونه وتوفير المعدات المدرسية اللازمة لتسيير العملية التعليمية .[٣]

وفي أثناء ذلك, كان الجيل الأصغر سناً يعيد اكتشاف السياسة بشكل غير واع , وفقا لقدرته الخاصة, وفي سياق ذلك كان هؤلاء الشباب يكتشفون أساليب جديدة لمقاومة القهر, وظهرت العلامات الأولى على لذلك في اضرابات ديربان عام ١٩٧٣ , كما ذكرنا سابقاً, وبعد ذلك بثلاث سنوات انفجر بقوة شيء أكثر درامية وغير متوقع كلياً في الساحة السياسية لجنوب أفريقيا وهو الانتفاضة الطلابية .[٤]

---

[١] الهوامش:

- Robert M. Price , The Apartheid State in Crisis : Political Transformation South Africa 1975 – 1990 , Oxford University Press , New York , 1991,P.51.

[٢] - وجاءت التعديلات وفق ما يحدث في مدارس البيض , ومنها سحب المرحلة السادسة من الابتدائية والسماح للطلاب السود دخول امتحان المرحلة الثانوية بعد المرحلة الخامسة فقط , فضلاً عن تخفيض نسبة النجاح في كل مادة (من ٥٠ الى ٤٠) درجة فقط . للمزيد ينظر Thomas G. Karis and Gail M.Gerhart , From Protest to Challenge : A Doeumentary History of African Polities in South Africa 1882 – 1979 , vol 5 , Unisa Press , Pretoria , 1997 , p ١٥٧ .

[٣] - Nancy L . Clark and Willian H . Worger South Afica : The Rise and Fall of Apartheid Second Edition , edition 2,Now York , Routledge , 2013, p 84 .

[٤] - ارشي مافيجي واخرون, منطق العمل الوطني ,داغر كنعان للدراسات والنشر , دمشق , ١٩٩٢, ص ص ١٦٠ -١٦١ .

وتجسد ذلك في عام ١٩٧٥ عندما أصدر وزير التعليم البانتو مايكل بوث (M.Botha), مرسوماً يقضي بأن تصبح اللغة الأفريكانية [٥], لغة التدريس في مدارس جنوب أفريقيا, لا سيما لموادهم الرئيسية منها الرياضيات والدراسات الاجتماعية, وكانت هذه اللغة معروفة لدى الطلاب السود بأنها لغة الاشخاص الذين خلقوا نظام الفصل العنصري وجعلوا الحياة بائسة لهم ولأولياء أمورهم, لذلك وجدت معارضة شديدة وسط اولئك الشباب الذين يؤيدون حركة الوعي السوداء[٦], وتعددت الدوافع وراء اعتراض الطلاب وأولياء الأمور والمدرسين على استعمال اللغة الأفريكانية للتدريس, فمن وجه نظر التربويين يعني ذلك تكريس دونية التعليم الموجه للسود , أما أولياء الأمور والطلاب فكانوا يفضلون الانكليزية باعتبارها اللغة الرئيسية المستخدمة في الصناعة والتجارة , ولذلك فهي ضرورية لأي شاب يرغب في الالتحاق بوظيفة عامة , فضلاً عن ذلك كونها لغة علمية ووسيطاً يمكن من خلاله الحفاظ على علاقات الشعب الأسود في جنوب أفريقيا وجميع أنحاء القارة الافريقية , وأنها اللغة التي تربط السود معا على الأقل في المناطق الحضرية . [٧]

ويذكر دان مونتسيسي (Dan Montsisi) حول اللغة الأفريكانية قائلا : ((كنا على دراية بالمشاكل التي كانت تحدث ... من الواضح أن اللغة الأفريكانية كانت صعبة ولم نتمكن ... من استعمالها كوسيلة للتعليم في بلدة سويتو , لأن معظم المنشورات والمجلات هي بالإنكليزية ... لكن لا يمكن تصور تدريس الرياضيات والعلوم والاقتصاد باللغة الأفريكانية... الخ))[٨], ونتيجة لذلك بدأ عقد الاجتماعات من قبل المنظمات الطلابية المعارضة , وعلى رأسهم زعماء حركة طلاب جنوب أفريقيا (SASM), وأول اجتماع عقد في أيار ١٩٧٦ لبحث القضايا بشأن ما تقوم به أزاء مسألة اللغة الأفريكانية كوسيلة للتعليم, وأكد رفض جميع الطلاب في كل من مدرسة أورلاندو الغربية ومدرسة ناليدي(Naledi) الثانوية , وخاصة بعد ظهور نتيجة الطلاب التي عكست ضعف مستواهم وتحصيلهم الأكاديمي والعلمي, وكان رد فعل الطلاب أن أضربوا وقاطعوا الدراسة تعبيراً عن رفضهم لهذا الواقع, وتجسد ذلك في الثامن من حزيران ١٩٧٦, إذ قاموا بإحراق سيارات الشرطة ولم تقف احتجاجات الطلاب الرافضة لتلك السياسة وقد بلغ عدد الطلاب في الثالث عشر من حزيران ما بين (٣٠٠ – ٤٠٠) طالب من اعضاء هذه المنظمة ناقشوا بعض القضايا الخاصة بمسألة اللغة الأفريكانية . [٩]

ويذكر مونتسيسي أنه عندما التقوا أخيراً يوم الخامس عشر من حزيران من أجل إعلام الطلاب عن يوم انطلاق التظاهرة , كان هناك الكثير من الحماس والاثارة لدى الطلاب لأن الحكومة كانت مترددة في الغاء مرسوم فرض اللغة الأفريكانية, ثم لم يكن طلاب جنوب أفريقيا موافقين على ترك الأفريكانية تفسد مستقبلهم, لذلك اتفقوا على حمل لافتات أدانة الأفريكانية كوسيلة وسيطة للتعليم من جهة, واعلان موقفهم من قيادة الحزب الوطني وعدم رضاهم عن حكومة الفصل العنصري بشكل عام من جهة أخرى , إذ كانت الوثائق التي ظهرت يوم السادس عشر من حزيران انعكاسا لما كان الطلاب ضده بالفعل وهو مسألة اللغة, والتي كانت القضية الرئيسية لاعتراضهم .[١٠]

---

[٥] - يعود أمر تطبيق اللغة الأفريكانية لعام ١٩٥٣ , في وقت صدور قانون البانتو , إلا أن هنالك عقبات عملية كانت تحول دون تطبيقه وعلى راسها عدم وجود معلمين مؤهلين لتدريس هذه اللغة , فضلاً عن ذلك فإن المدرسين أنفسهم غير راغبين في التدريس بهذه اللغة لأنهم لا يتحدثون بها من جهة , والنقص في الكتب الدراسية من جهة أخرى . للمزيد ينظر : . Sifiso Mxolisi Ndlovu , The Road to the Soweto Uprising : Some Reflections , Seminar Paper , Robben Isiand , 24 May 2001 , p ١٧ .

[٦] - Learning Amidst the Turmoil: Secondary Schooling in Soweto 1977–1990, South African Historical Journal,Vol.68,2016: , https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/02582473.2016.1217032?journalCode=rshj20

[٧] -- ارشي مافيجي واخرون , المصدر السابق , ص٢٠٣ .

[٨] - - Nigel Worden , The Making of Modern South Africa : Conquuest Segregation and Apartheid , Oxford Press , Blackwell , 1994 , p 158 .

[٩] - Jonthan Hyslop , The Classroom Struggle : Policy and Resistance in South Africa , University of Natal Press , Scottsville , 1999 , p17

[١٠] - Nigel Worden , Op. Cit , p 159

وعلى الغرار نفسه, تم تشكيل لجنة ممثلة لكل مدرسة في سويتو للتنسيق وتنظيم التظاهرة السلمية التي أُتفق على أن تكون يوم ١٦ حزيران , وتم الاتفاق فيها على حماية الطلاب لأنفسهم , إذا ما استخدمت الشرطة العنف , وذلك لإدراكهم بأنها تعمل على ايقافهم , ثم وجدت هذه اللجنة مضايقات فعلية من قبل الشرطة التي كانت ترصد كل تحركات قيادة الطلاب , وتعمل على اعتقالهم تحت شرعية قانون مكافحة الارهاب , لذلك شكل الطلاب مجلس تمثيل الطلاب سويتو (Soweto Students Representative Council) (SSRC) وخطط لتلك التظاهرة بعناية فائقة , وتم الاتفاق على عدد من المراكز ليتجمع فيها الطلاب[١١], ومما يجدر ذكره أنه لم يتم ابلاغ إلا عدد قليل من المعلمين بهذه المسيرة, وتم تحديد موعد مغادرة طلاب كل مدرسة ليتجمعوا في ستاد اورلاندو دون أن يلفتوا الأنظار إليهم , فجاء اعلان التظاهرة من خلال مجلس تمثيل الطلاب تحت قيادة خوتسو (Khotso) , وأكد بأن المجلس لا يهدف إلى معالجة الأمور التعليمية وحدها ,وإنما إلى تحرير جنوب أفريقيا بصورة كاملة , ويذكر مونتسيسي أن مسيرة بدأت من مدرسة موريس ايزاكسون نحو استاد اورلاندو , بحوالي (٤– ٦ الفاً) من الطلاب والمواطنين بشكل عام , لأن العاطلين عن العمل من الشباب انضموا إلى المسيرة, وأشارة إلى ذلك قائلا : ((أصبحت وحدتنا زخماً واصبحنا أقوى)). [١٢]

ثانياً: اندلاع انتفاضة سويتو:

خرج في صبيحة يوم السادس عشر من حزيران حوالي عشرينٍ ألف بين طالب وعامل وعاطل في موكب ضخم تحرك من ستاد أورلاندو معلناً اطلاق المسيرة الطلابية , وحاملين شعارات متعددة كتب في بعضها : (نحن لسنا بوبريين) ومن الشعارات المؤثرة على النظام عندما رفع الطلاب هتاف : (ان تعلمنا نحن الأفريكانية فعلى فورستر تعلم البانتو)[١٣], دفع رد فعل النظام العنصري الحوادث باتجاه مختلف تماماً, في البداية كانت هناك الحجارة من الطلاب , والغاز المسيل للدموع والهراوات وطلقات تحذيرية من الشرطة, وتلك الطلقات قتلت الشاب هيكتور بيترسون , الذي لم يتجاوز عمره ١٣ عاماً[١٤], كان أول ضحية للانتفاضة, وكان من المنطقي أن يتحول هذا الاحتجاج من مسيرة سلمية إلى مواجهة عنيفة . [١٥]

وجراء كل ما تقدم كان من الطبيعي أن ينتشر صدى هذه الحوادث داخل جنوب أفريقيا في جميع المدن والضواحي والقرى, ففي أقل من أربع وعشرين ساعة انتشر العنف في حوالي (٢٨) مدينة أفريقية, مما أدى إلى تداعي أعمال الشغب والعنف في طول البلاد وعرضها, إذ قام الطلاب بإحراق عدد من المحلات التجارية التابعة للبيض ومخازن الخمور, وأشار مونتسيسي أن نتيجة تلك الحوادث قتل ما بين (٦٠٠ – ١٠٠٠) من السود, وكثير منهم من الأطفال.[١٦]

وفي اليوم التالي من اندلاع التظاهرات أعلن وزير العدل جي كروجر (J . Kruger) عن تشكيل لجنة برئاسة القاضي جستس سيللي (Jestice Cellie) بهدف تبرئة النظام من حوادث العنف, أشارت اللجنة في تقريرها إلى أنه من منتصف حزيران إلى نهاية آب ١٩٧٦ أطلقت قوات الشرطة العنصرية حوالي (١٦ الف) طلقة في منطقة سويتو وحدها, وقتلت عدداً

---

[١١] - Sifiso Mxolisi Ndlovu , The Road to the Soweto Uprising : Some Reflections , Seminar Paper , Robben Isiand , 24 May 2001, p17 .

[١٢] - . Nigel Worden , Op. Cit , p 159

[١٣] Thomas William Penfold , Black Consciousness and the Polities of Writing the Nation in South Africa , PHD thesis Unpublished , Department of African Studies , University of Birmingham , 2013 , p81

[١٤] - Lawrence Freedman Others , South Africa ' s Foreign Policy , Cambridge Unversity Press , British , 1990 , p 204 .

[١٥] - Thomas William Penfold , Cit , Op , p 81 .

[١٦] - Nigel Worden , Op. Cit , p 160

لا حصر له من المتظاهرين في جوهانسبرغ. وفي ويتواترسراند وحدها كان هناك(١٣٠) حالة وفاة و (١١١٠) جريحاً, وتم حرق(٣٣) مبنى من مباني ادارة البانتو و(٢٧) من قاعات البيرة و(٩٠) مدرسة, وفي الأشهر التي تلت ذلك كانت هناك زيادات مماثلة في جميع انحاء الجمهورية, مع الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات [١٧], لذلك سافر سيللي إلى جميع أنحاء جنوب أفريقيا لمتابعة تحقيقه, من خلال أخذ شهادة (٥٦٣) شاهداً ويشير تقرير اللجنة أن الاضطرابات نتجت عن مجموعة متنوعة من ممارسات الفصل العنصري التي خلقت الظروف الاجتماعية والاقتصادية البائسة التي أنتجت الانتفاضة [١٨] .

وقد تم اعتقال آلاف الأشخاص وعرضهم على المحكمة, وكان عددهم حوالي (٢١٠٠) شخص تراوحت أعمارهم ما بين(١٤ – ١٩) عاماً, تم تقديمهم للمحاكمة بسجن روبن , ومن بينهم ستيف بيكو ودان مونتسيسي, الذين صمدوا واستخدموا تحية التضامن الأسود, ورفضوا الالتزام بأبسط قواعد السجن , لدرجة عجز ادارة السجن في التعامل معهم . [١٩]

ثالثاً: نتائج انتفاضة سويتو:

وفي نهاية المطاف نجحت انتفاضة سويتو في ملء الفراغ النضالي لدى الشباب, وأحدثت نشاطاً منقطع النظير وحماساً دفعهم للتعرف على نضال الشعوب الأخرى, والاطلاع على النظريات السياسية المختلفة لتساعدهم في التصدي لحكومة الحزب الوطني العنصري, لذلك طالب مجلس تمثيل الطلاب في سويتو كل من رئيس الوزراء فورستر ووزير العدل كروجر تقديم استقالاتهم بسبب العنف والفوضى التي أحدثوها في جنوب أفريقيا, فضلاً عن مناشدة قوات الشرطة التريث وحسن السلوك والبقاء في مقراتهم, وأكد مجلس الطلاب سويتو على اهمية وحدة السود, إلا أن فشل هدف الطلاب هذا وعدم استجابة الحكومة لهم, جعل الحكومة أكثر تشدداً, وتجسد ذلك في تشرين الأول ١٩٧٧ بسبب الاستعداد للانتخابات الرئاسية التي تجري في ٣٠ تشرين الأول من العام نفسه , فقامت بحظر كل المنظمات الطلابية بموجب قانون الأمن الداخلي ومن هذه المنظمات ساسو ومنظمة مؤتمر الشعب الاسود Black People Convention(BPC), وجمعية أولياء الأمور السود Black Parents Association (BPA) ومنظمة الشباب الوطني ومنظمة شباب محافظة شرق الكاب , وجمعيات الشباب في كل الناتال والترنسفال والكاب الغربية . [٢٠]

وبالرغم من سلسلة التطورات السابقة فإن المنظمات الطلابية لم تتمكن من جلب النهاية الفعلية لتعليم البانتو, إذ ظلت المدارس تحت سياسة النظام العنصري , ولم تقدَّم الخدمات مثلما كان يقدم للبيض , فضلا عن أن آلاف الشاب والطلاب قتلوا أو هاجروا للخارج , والجدير بالذكر, وبالرغم من ذلك نجحت الانتفاضة في إجبار الحكومة على سحب برنامج التدريس باللغة الأفريكانية, وتم تغيير ادارة تعليم البانتو لتصبح وزارة التعليم والتدريب , وخصصت مبالغ للتعليم , بهدف بناء المدارس وتأهيل المعلمين وغيرها من متطلبات الشعب الأسود بشكل عام, ثم جاءت انتفاضتهم لتضعهم في مقدمة القوى المناضلة في جنوب أفريقيا . [٢١]

وعلى اية حال , ظلت أحلامهم تدور حول الهروب من الفقر عن طريق التعليم بشكل عام, وحتى بعد سقوط أحلامهم تلك وانكشاف عبثها ظلوا يبحثون عن التحرر من القهر النفسي والمعنوي . [٢٢]

---

[١٧] - 1- Lawrence Freedman and others, South Africa s Foreign Policy, University Press, British, 1995, p 204 .

[١٨] -- Robert M. Price , Op. Cit , p 59 .

[١٩] - ارشي مافيجي واخرون , المصدر السابق , ص٢٠٤ .

[٢٠] - Shaun Jahnson , South Africa : No Turning Back , Indiana University Press , Britain , 1989, p 103 .

[٢١] -- ارشي مافيجي واخرون , المصدر السابق , ص٢٠٤ ; Jacqueline Drobis Meisel , South Africa at the Crossroads , The Millbrook Press , USA , 1994 , P P ٢٧ – ٣٠ .

[٢٢] - ارشي ما فيجي واخرون , المصدر السابق , ص٢٠٥ .

رابعاً: تأثير انتفاضة سويتو على نضال الحركة الطلابية:

وكانت تطورات الحركة الطلابية بين عامي ١٩٧٨ – ١٩٨٣ , صياغة السياسة بشكل جماعي والمعروفة باسم (استراتيجية شاملة) والهادفة إلى اعادة هيكلية المجتمع الأسود بطرق يتطلبها الواقع الاجتماعي والاقتصادي[٢٣], تجسد ذلك من خلال محاولة تجنب بعض الأخطاء التي اقترفتها في انتفاضة سويتو, ثم جمعت بين المصالح الاقتصادية للعمال والمصالح السياسية والاجتماعية للطلاب , كخلفية لهياكل الوعي الأسود المحظورة المناهضة للنظام في تشرين الأول ١٩٧٧, فضلاً عن شُغْل الفراغ السياسي ومحاولة تطوير الوعي الاسود. أطلق الجناح الطلابي منظمة الطلاب أزانيا Azaian Student Organization (AZASO)[٢٤] في نيسان ١٩٧٨ , التي أصبحت شائعة في بيئات الوعي الأسود, لأنها تمثل جميع الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا والكليات التقنية والمهنية وكليات تدريب المعلمين السود في جنوب أفريقيا[٢٥], لذلك جاء تنظيم أزانيا ليوحد الطلاب بمختلف تركيباتهم العرقية والأثنية تحت راية واحدة.[٢٦]

خاضت منظمة الطلابية أزانيا برئاسة توم نكوانا , نشاطاً سياسياً واسعاً, إذ كانت تقوم باستقطاب الجماهير , من خلال استغلال المناسبات الخاصة بالأفريقيين , مثل إحياء ذكرى شاريفيل وانتفاضة سويتو , فضلاً عن ذلك انشاء فروع لها في تيرفلوب وزولولاند وميدونسا ومابمولو, ثم جاء التنظيم ليعبر عن آمال المضطهدين وآلامهم بصورة منظمة .[٢٧]

ولأن عضوية منظمة طلاب أزانيا تقتصر على طلاب الجامعات وحدهم , فإن مسألة إدراج غير الطلاب كانت المشكلة الأكثر صعوبة , لذلك أدرك الطلاب أن ليست هناك ضرورة لتكوين منظمات شبابية منفصلة, ونتيجة ذلك تم تشكيل منظمة مؤتمر طلاب جنوب أفريقيا(Congress of South African Students (COSAS)[٢٨] بهدف تمثيل الطلاب والعمل

---

[٢٣]- Nigel Worden , OP. Cit. , P. 122.

[٢٤] -منظمة طلاب أزانيا , تعتبر أول محاولة لإنشاء تنظيم طلابي في الجامعات الأفريقية منذ حظر منظمة طلاب جنوب أفريقيا ساسو (SASO). فظهرت نتيجة الحاجة لتنسيق جهود الطلاب ونضالهم في الجامعات المختلفة وربط كل ذلك بنضال بقية التنظيمات الأخرى , ويمثل تنظيم طلاب ازانيا جميع الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا والكليات التقنية والمهنية وكليات تدريب المعلمين السود في جنوب أفريقيا, وأسست بموجب المؤتمر الذي عقد في مدينة بيترمارسبيرج في ٢٣ أيلول ١٩٧٩, وخاضت نشاطاً سياسياً واسعاً حيث كانت تقوم بالمخاطبات الجماهرية, وذلك باستغلال المناسبات الخاصة مثل إحياء ذكرى شاريفيل أو انتفاضة سويتو أو اثناء تشيع الشخصيات المهمة.للمزيد ينظر : Thabo Sephiri, The Emergence and Role of Black Intellectuals in the Development of the Trade Union Movement in South Africa: A Case Study of Numsa, Fafo Institute for Applied Social Science, Cape Town,South Africa, 2002, P.P ٢٤-٢٧.

[٢٥] - ويقصد السود هنا جميع الطلاب الذين ينحدرون من المجتمعات المضطهدة وهم الملونون والهنود والافارقة .. A.G.Desal , Indian South Africans and the Black Consciousness Movement under Apartheid , nternational Journal of Multidisciplinary , Volume 3, Issue 4(4), April 2014, p p ١٣ - ١٤ .

[٢٦] - Shaun Johnson , Op. Cit , p p 105 – 106

[٢٧] -- Julie Frederikes . South Africa : A Different Kind of War from Soweto to Pretoria , Ravan Press , Johannesburg , 1986 , p 18 .

[٢٨] - مؤتمر طلاب جنوب افريقيا (COSAS) ,جاء تكوين مؤتمر طلاب جنوب أفريقيا تتويجاً للجهود التي قام بها الأعضاء السابقون في منظمة طلاب جنوب إفريقيا وقادة حزب المؤتمر الوطني والذين أفرج عنهم بعد سجنهم في جزيرة روبن, بحث هؤلاء إمكانية تكوين تنظيم طلابي يهدف إلى ملء ذلك الفراغ الذي شهدته الساحة السياسية بعد حظر المنظمات المناهضة في تشرين الأول ١٩٧٧, وبعد عدة مداولات ونقاش مستفيض قرر الطلاب الدعوة إلى مؤتمر طلابي في مدينة ويلجسبريت (Wilgespruit) بالقرب من جوهانسبيرغ في الفترة ما بين (٢٩-٣١ آيار ١٩٧٩), بوجود حوالي ستين وفداً, وأعلن عن ميلاد تنظيم للعمل وسط طلاب المدارس الثانوية, أصبح الاسم مؤتمر طلاب جنوب أفريقيا. للمزيد ينظر : David Everatt, Youth Polities in the 1980s, Braamfontien, Ravan Press, 1993, P.٣١.

على تحقيق رغباتهم, واستطاعت المنظمة في مدة وجيزة تنظيم عدد كبير من طلاب المدارس الثانوية ,وتعريفهم بالطبيعة القمعية لنظام التعليم في جنوب أفريقيا, فضلاً عن ذلك كانت ترى أنه لا يمكن عزل النضال الطلابي عن نضال الآخرين باعتبارهم يمثلون شريحة مهمة من شرائح المجتمع المضطهد من النظام العنصري . [٢٩]

وبحلول الثمانينيات , كانت بداية التمرد الثاني لطلاب المدارس في ٢٠ آذار ١٩٨٠, عُندما عقد نحو ٦٠٠ من أولياء الأمور والطلاب اجتماعا في مدينة هانوفربارك الملونة في الكيب تاون, وأعلن الحاضرون في الاجتماع مظالمهم التي تتخلص في تدني مستوى تعليم السود, وكان رئيس قطاع التعليم في اقليم الكاب قد عبر عن سياسة الحكومة بقوله : ((سوف يذهب الأطفال الملونون إلى العمل اليدوي, لذا فإن تعليمهم يجب أن يصاغ تبعاً لذلك)) .[٣٠]

وبعد الاجتماع بأيام قليلة انفجرت موجة من الاحتجاجات في تسع عشرة مدرسة, نادى فيها الطلاب بتعديل نظام التعليم واصلاح المباني ومعامل المدارس التي تهدمت في انتفاضة سويتو , ولما لم تستجب الحكومة لهذه المطالب, قام الطلاب في مدارس كثيرة بالأضراب عن دخولهم فصولهم الدراسية, ومع منتصف شهر نيسان ١٩٨٠ وصل عدد الطلاب المضربين الى حوالي (٢٥) الف طالب, ونتيجة لاتساع الاضراب تشكلت لجنة طلابية في التاسع عشر من نيسان مثلت فيها جميع المعاهد التعليمية (٨١ معهداً) وأصدرت قائمة من المطالب تضمنت حق اختيار المجالس الطلابية التمثيلية وانهاء العقاب البدني, ومطالب ضد التمييز العنصري في المدراس .[٣١]

وبحلول أذار ١٩٨٢, تمت استجابة الحكومة لبعض مطالب الطلاب السود ووفق الاصلاح السياسي المجسد في دستور ١٩٨٣, أقرّ قانون المجالس المجتمعية, الذي يمثل بداية التخصص في نمط الرقابة الادارية على شؤون السود الذين يعيشون في البلدات المنفصلة, ومَثّلَ أول محاولة لتقديم هياكل سلطة محلية في المناطق السكنية المنتخبة والتي تمنح صلاحيات تنفيذية حقيقية, وهذا يعد من المؤشرات المهمة للمنطق الذي تتعامل به بريتوريا مع هذا المجال من الاصلاح, ونص قانون المجالس على انشاء مجتمع يتمكن من الحفاظ على سلامة السكان السود والحفاظ على القانون والنظام ومنع الجريمة, من خلال توفير فرص جديدة وأوسع نطاقا للسود لاتخاذ القرارات . [٣٢]

فضلاً عن كل ما تقدم فإن الجهد المبذول لإنشاء مؤسسات تمثيلية للسلطة المحلية, كان عنصراً اساسياً في استراتيجية الاصلاح الحكومي, سعت بريتوريا لخلق منتدى داخل جنوب أفريقيا للمشاركة السياسية للسود, والانتقال الاداري للنخب السياسية السوداء.

وأدى ذلك إلى استمرار الطلاب في تقوية تنظيماتهم, التي تشمل جماعة الشعوب ألازانيا Azanian Peoples's Organisation (AZAPO), ومؤتمر طلاب جنوب أفريقيا(COSAS), الذي أصبح أكثر قوة وفعالية, وتوسع في انشاء المزيد من الفروع في عدد من المدارس, ورابطة الكتاب في جنوب أفريقيا(WASA), وجمعية مدينة بورت اليزابيث السوداء(PEBCO)ومنظمة الطلاب الأزانيا(AZASO), والتي تمثل جذوراً مباشرة في قضايا المجتمع الأسود, لأنهم يعارضون التعاون مع الفصل العنصري ويعززون المقاومة والاحتجاجات ضدها, ويحافظون على العمل بشكل مفتوح في وجه القمع الحكومي .[٣٣]

وفي نهاية المطاف لابد من ذكر بعض سلبيات الحركة الطلابية التي ظهرت في انتفاضة سويتو وذلك في ثلاثة جوانب أساسية وهي :

---

٢٩ - Homas William Penfold , Cit ,Op , p85 .

٣٠ -
- ارشي مافيجي واخرون , المصدر السابق , ص٢٠٥ .

٣١ - المصدر نفسه , ص٢٠٥ .

٣٢ - Robert M .Price , OP.Cit., ,P.P. 131 – 133 .

٣٣ - - Richard Leonard , South Africa AT War : White Power and Crisis in SOUTHERN Africa , Congress Cotaloging Press , USA , 1983 , P 49 .

١-كانت هناك درجة أعلى من الانضباط والتنظيم وسط الطلاب المضربين بشكل مختلف عن البدايات المضطربة وغير المنظمة في انتفاضة ١٩٧٦.

٢-عكست الحركة وعياً سياسياً أعلى, نتيجة لتأثير الطلاب بالجماعات الاشتراكية في كاب تاون, وتكشف عن ذلك احدى اللافتات التي رفعها الطلاب وكتبوا فيها : ((لا تطردونا من المدارس لتقديم العمالة الرخيصة للرأسمالية)) وأعرب أحد رجال الأعمال عن قلقه لجريدة فاينانشيال تايمز : ((إن هؤلاء الطلاب يتكلمون بلغة الصراع الطبقي, وليس بالتعبيرات الغامضة التي يستخدمها أنصار حركة الوعي الأفريقي)) .[٣٤]

٣-بالرغم من أن الجماعة الملونة هي التي بدأت الاضراب إلا أنه امتد سريعاً إلى الجامعات السوداء, وعبرت الجامعات عن أعلى أشكال التضامن بين الأعراق المقهورة من حلال مشاركاتها في اضراب الجامعة الملونة في الكاب الغربي وفورت هار للطلاب السود في الكاب الشرقي وديربان وستفيل للطلاب الآسيويين .[٣٥]

من المهم أن نلاحظ جانباً آخراً يُعد الجانب الايجابي في انتفاضة سويتو وهو الرابط الذي تم تشكيلة بعض أعضاء حركة الوعي الأسود في المنفى من جزيرة روبن, وبين حزب المؤتمر الوطني الأفريقي(ANC) في البلدات السوداء, الذي كان له دوراً كبيراً بين بعض الطلاب, على الرغم من زعم البعض أن حزب المؤتمر الوطني لم يكن نشطاً لانعدام الدعم, إلا أن غالبية الشباب كانوا يغادرون جنوب أفريقيا في وقت الانتفاضة للانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي, ويشير بعض الباحثين إلى أن حزب المؤتمر الوطني الافريقي كمؤسسة لم يكن بمقدوره أن يتصرف مباشرة في انتفاضة سويتو, تقديراً للمكانة البارزة لمجلس ممثلي طلاب سويتو (SSRC) لذلك قاد العمل بشكل سري .[٣٦]

وعلى أية حال, وفر القمع القاسي لانتفاضة سويتو بمختلف مراحلها, فائدة لحزب المؤتمر الوطني الافريقي, لأن الآلاف من الشباب والطلاب كانوا يفرون من البلدات السوداء في جنوب أفريقيا, ويعبرون الحدود إلى الدول المجاورة, ساعين لمواصلة الكفاح من أجل التحرير من خلال المقاومة المسلحة, فكان لقمع الانتفاضة أثر في تزويد حزب المؤتمر بجيش من المجندين الشباب الملتزمين والمتعلمين نسبياً, وبحول ١٩٨٣ كان حوالي (٤ آلاف) لاجئ حديث العهد يتدربون [٣٧]. وكان هذا

---

[٣٤] - J. Seekings and N. Nattrass, Class, race and inequality in South Africa , CT:Yale University Press, New Haven, 2005, p. 102.

[٣٥] - ارشي مافيجي واخرون, المصدر السابق , ص٢٠٧ .

[٣٦] - بين عامي (١٩٧٧ – ١٩٨٣) نفذ حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بشكل رئيسي هجمات تخريبية في الطرق ومراكز الشرطة وأفرادها ومخبريهم , فضلا عن قصف مكتب حكومي في بلومفونتين , وكان ذلك بداية عودة الحزب واستعداده للرد على قادة الحكومة البيضاء في جنوب أفريقيا . Richard Leonard , Cit , Op , p ٣٩ .

[٣٧] - انتقل هذا الدعم إلى قرار حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بحمل السلاح عندما حظرت كل الاحتجاجات , وتزامن الدعم الشعبي المتزايد مع نشاطه في حرب العصابات التي استمرت حتى بداية التسعينيات بعد تولي نيلسون مانديلا حكومة جنوب أفريقيا Robert M .Price , Op. Cit , p ٦٢. .

المصادر :

اولاً: الرسائل الاطاريح :

١- Thomas William Penfold , Black Consciousness and the Polities of Writing the Nation in South Africa , PHD thesis Unpublished , Department of African Studies , University of Birmingham , 2013.

ثانيا / الكتب العربية

١- ارشي مافيجي واخرون, منطق العمل الوطني ,داغر كنعان للدراسات والنشر , دمشق , ١٩٩٢.

ثالثاً / الكتب الاجنبية :

١- Robert M. Price , The Apartheid State in Crisis : Political Transformation South Africa 1975 – 1990 , Oxford University Press , New York , 1991.

العنصر الثوري المحتمل في التحرير والنضال الأوسع في جنوب أفريقيا الذي يشمل هجمات حرب العصابات وأشكال مختلفة من التعبئة والمقاومة الشعبية لذلك سيكون طريق النضال طويلاً وصعباً, وسوف يتم ربحه في النهاية .

الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج يمكن اجمالها فيما يأتي:

١- اسمهت عدة عوامل في إحداث انتفاضة سويتو عام ١٩٧٦, أهميتها : شدة وطأة إجراءات الفصل العنصري وانتهاكاتها لجميع حقوق السود, وظهور جيل من اليافعين (١٥-٢٠) عاماً, بطموح كبير واندفاع متحرر من القيود, وتطور الوعي الأسود والمفتخر بثقافته وذاته, نتيجة تلقي السود تعليمهم منذ عام ١٩٥٩ بشكل منفصل رسمياً.

٢- تمثلت الأسباب المباشرة لاندلاع انتفاضة سويتو, في إقرار الحكومة عام ١٩٧٥, اللغة الأفريكانية لغة للتدريس في مدارس جنوب إفريقيا, وهي لغة الأشخاص الذين خلقوا النظام العنصري الذي جعل حياة اولئك الشباب وأولياء أمورهم بائسة, كما أنها لغة صعبة وتكرس دونية التعليم الموجه للسود.

٢- Thomas G. Karis and Gail M.Gerhart , From Protest to Challenge : A Doeumentary History of African Polities in South Africa 1882 – 1979 , vol 5 , Unisa Press , Pretoria , 1997.
٣- Nancy L . Clark and Willian H . Worger South Afica : The Rise and Fall of Apartheid - Second Edition , edition 2,Now York , Routledge , 2013.
٤- Nigel Worden , The Making of Modern South Africa : Conquuest Segregation and Apartheid , Oxford Press , Blackwell , 1994.
٥- Lawrence Freedman Others , South Africa ' s Foreign Policy , Cambridge Unversity - Press , British , 1990.
٦- Shaun Jahnson , South Africa : No Turning Back , Indiana University Press , Britain , 1989.
٧- Jacqueline Drobis Meisel , South Africa at the Crossroads , The Millbrook Press , USA , 1994.
٨- Thabo Sephiri, The Emergence and Role of Black Intellectuals in the Development of the Trade Union Movement in South Africa: A Case Study of Numsa, Fafo Institute for Applied Social Science, Cape Town,South Africa, 2002.
٩- -- Julie Frederikes . South Africa : A Different Kind of War from Soweto to Pretoria , Ravan Press , Johannesburg , 1986.
١٠- David Everatt, Youth Polities in the 1980s, Braamfontien, Ravan Press, 1993.
١١- Richard Leonard , South Africa AT War : White Power and Crisis in SOUTHERN Africa , Congress Cotaloging Press , USA , 1983.
١٢- J. Seekings and N. Nattrass, Class, race and inequality in South Africa , CT:Yale University Press, New Haven, 2005.

البحوث المنشورة:

١- Ndlovu , The Road to the Soweto Uprising : Some Reflections , Seminar Paper , Robben Isiand , 24 May 2001.
٢- Learning Amidst the Turmoil: Secondary Schooling in Soweto 1977–1990, South African Historical Journal,Vol.68,2016: , https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/02582473.2016.1217032?journalCode=rshj20 .
٣- Sifiso Mxolisi Ndlovu , The Road to the Soweto Uprising : Some Reflections , Seminar Paper , Robben Isiand , 24 May 2001.
٤- A.G.Desal , Indian South Africans and the Black Consciousness Movement under Apartheid , nternational Journal of Multidisciplinary , Volume 3, Issue 4(4), April 2014.

٣- انطلقت الانتفاضة يوم ١٦ حزيران ١٩٧٦, بمشاركة حوالي عشرين ألف طالب وعامل وعاطل, بشعارات رافضة لغرض اللغة الأفريكانية , وتحولت من مسيرة سلمية إلى مواجهات عنيفة, لينتشر العنف وأعمال الشغب في طول البلاد وعرضها, راح ضحيتها ما بين (٦٠٠- ١٠٠٠) من السود وجلهم من صغار السن.

٤- ردت حكومة الحزب الوطني العنصرية على الانتفاضة باعتقال آلاف الأشخاص وحظر كل المنظمات الطلابية, وإحالة كثير من قياداتها إلى المحاكم .

٥- نجحت انتفاضة سويتو في إجبار الحكومة على سحب برنامج التدريس باللغة الأفريكانية , وتغيير ادارة تعليم البانتو (التعليم المنفصل) لتصبح وزارة التعليم والتدريب , كما أن الانتفاضة ملئت الفراغ النضالي لدى الشباب وأكدت أهمية وحدة السود وأسهمت في إحداث نشاط وحماس كبيرين, دفعهم للتعرف على نشاط الشعوب الأخرى واكتساب الخبرة في العمل السياسي.

٦- أدى قمع انتفاضة سويتو إلى هجرة الآلاف من الطلاب والشباب إلى الدول المجاورة, وانخراطهم في الاعمال المسلحة التي كان يقودها حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ضد مؤسسات النظام العنصري في جنوب إفريقيا والتي انطلقت منذ بداية الستينيات وحتى إلغاء الفصل العنصري عام ١٩٩٤.

استفادت المنظمات العديدة من انتفاضة سويتو في نضالها من أجل إزالة نظام تعليم البانتو , وتجاوز أخطائها المتمثلة في قلة الانضباط والتنظيم وقلة الوعي السياسي, وتجلى ذلك في التمرد الثاني لطلاب المدارس في ٢٠ آذار ١٩٨٠, وفي تواصل نضالهم حتى النجاح في إلغاء نظام التعليم (البانتو), وإزالة النظم العنصرية في التعليم وغيره, وإكتسابهم الخبرة التي أهلتهم لقيادة جنوب إفريقيا في حكومة ما بعد النظام العنصري .

خارطة سويتو

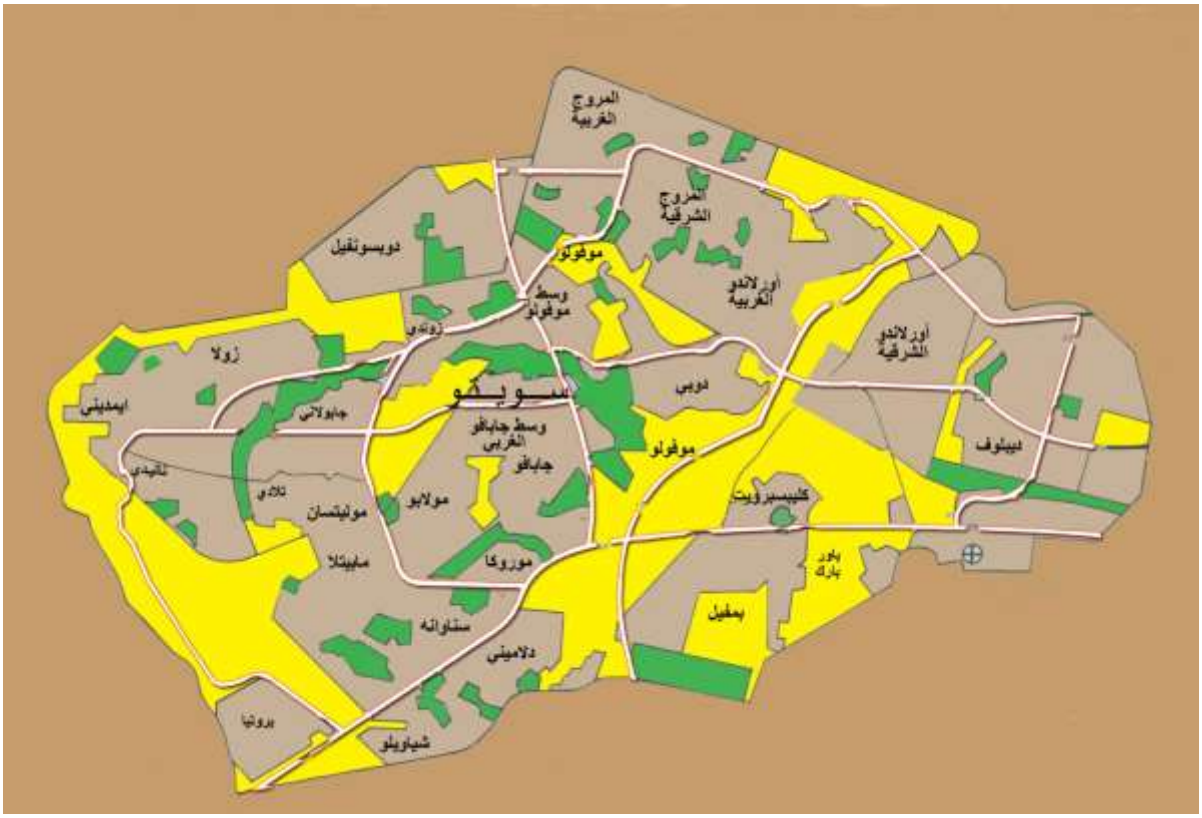

Level 1 History Study Guide, South Africa 1938- 1976, ESA Publication (NZ) Ltd, 2012, P.P.114- 115 .